مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- المركز الجامعي بغليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 06/ العدد: 04 (2020) - ص 375- 385

المقاربة السوسيولسانية ودورها في تحليل النصوص التراثية: بعض النماذج من كتاب الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي

The sociolinguistics approach and its role in the analysis of heritage texts –some examples from the book of "Isharat Ilahia" by Abu Hayyan Al-Tawhidi (-414h)

بن بريك حراق [1]
harragbenbraik@yahoo.fr[1]
عزوز أحمد [2]
azouzahmed@hotmail.fr[2]
جامعة وهران 1 أحمد بن بلة- وهران/ الجزائر.

تاريخ الاستلام: 2020/06/20 تاريخ القبول: 2020/09/25 تاريخ النشر: 2020/12/10

ملخص البحث

يلقي البحث بظلاله على قضية هامة، هي استعمال الطرائق والمناهج الجديدة لتحليل النصوص التراثية، لما لها من أهمية بالغة، ذلك لفك الكثير من شفراتها، واستنباط المعاني الخبيئة الراقية الموجودة في أسطرها وما بينها.

ومن بين هذه المناهج نجد المقاربة السوسيولسانية ، التي تعتمد في دراسة النصوص على استعمال الجانب اللغوي والاجتماعي في التحليل ، فهي تربط العمل الأدبي بالسياق أو المقام كما أنها تبعث الحياة في الدراسة، بعدما أثبت المنهج اللغوي منفردا عجزه .

الكلمات المفتاحية: المقاربة – السوسيولسانيات – تحليل – النصوص- التراثية.

ABSTRACT:

This study attempts to cast light on a very important issue which is the application of new methods and strategies in the analysis of tradition heritage texts with the aim of decoding the passages, inferring its hidden meanings in between the lines and beyond them.

Among these approaches is the sociological approach, which is based in the study of texts on the use of the linguistic and social aspect of analysis, it links literary work to context and inspires life in the study, after the linguistic approach alone has proved incapable.

Keywords: Approach - The sociolinguistics – Analysis – Texts – Heritage.

[1] المؤلف المرسل: بن بريك حراق.

1. مقدمة:

إن قضية إخضاع الأدب والإبداع الأدبي لمنهجيات علم الاجتماع، تثير إشكاليات جمة: نظرا لطبيعة الأدب من جهة، ومعارضة بعض العلماء تطبيق المنهج العلمي على الظواهر الاجتماعية نفسها من جهة أخرى.

يرتبط المنهج الاجتماعي بقراءة النصوص الأدبية وتحليلها من منظور مدى تعبيرها عن الوسط الاجتماعي الذي أنتجها، وهو بذلك يتعامل مع الظاهرة الأدبية، ليس بوصفها ظاهرة مستقلة بذاتها، وبخصوصيتها الإبداعية، وإنما بعدّ النصوص الأدبية وسائر الفنون غير مستقلة عن شروط إنتاجها الاجتماعي، وتحمل داخلها آثار المجتمع والجماعة والمؤسسة الأدبية التي أنتجتها، مستفيدا من علم السوسيولوجيا في معالجته للظواهر الإنسانية والظواهر الاجتماعية المختلفة[1]. فما هو المنهج السوسيولساني وكيف ظهر ؟ وما أهميته في تحليل النصوص ؟

إن الهدف من هذه الورقة البحثية هو دراسة النصوص القديمة بما استجد من مناهج وآليات تحليلية تستطيع من خلالها الوصول إلى فحواها، وسبر أغوارها.

إلى جانب فتح مجال جديد أمام دارسي النصوص من أجل تحليل دقيق، نربط فيه الجانب اللغوي بالجانب الاجتماعي المعيش ، وذلك بتوظيف المنهج السوسيولساني.

2- نشأة المنهج السوسيولساني وتطوره:

يعد البحث عن العلاقة بين اللغة والمجتمع من المواضيع التي أثارت انتباه الإنسان منذ القدم، واليونانيون هم الأوائل الذين أبدوا بعض الملاحظات التي تتعلق بوجه خاص بالاختلافات الموجودة بين لهجة أثنا وباقي اللهجات المجاورة، وذلك لتسهيل التعامل بينها وبين مستعمراتها تجاريا ... [2]

كما أثبتت كتب النحاة العرب القدامى اهتمامهم باللهجات العربية وبالسياق، وتنوع الأساليب اللغوية، يقول ابن جني : "كلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد".[3]

ومع ظهور اللسانيات الحديثة ، أكد سوسير على أن اللغة مؤسسة اجتماعية، فدراستها ما هي إلا دراسة لنسق من الوقائع الاجتماعية بحيث أن الكلمة لا تأخذ قيمتها إلا داخل نسقها اللغوي والاجتماعي.[4]

وبالرغم من كل تلك المساهمات التي زكت ضرورة دراسة اللغة داخل محيطها الاجتماعي، لم يظهر ميدان مستقل في إطار الدراسات اللسانية مبني على أسس نظرية ومنهجية علمية ، يعنى بوصف الضوابط السوسيولسانية* التي تحدد الاستعمالات اللغوية في سياقات اجتماعية متنوعة.

إذ كان ثمة ميل مرتهن في اتجاه ربط الحقائق اللغوية بالظواهر الاجتماعية يعود إلى ممارسة دي سوسير وهيمنته على الدرس اللغوي، ولما كان منهمكا في وضع اللبنات الأولى لصرح البنيوية، كان

اللساني الفرنسي (أنطوان ميلي) يركز في الصلة الموجودة بين اللغة والمجتمع، فقد كان متأثرا كغيره بعالم الاجتماع دوركايم.[5]

3-مفهوم المقاربة السوسيولسانية:

يقترب مفهوم اللغة وفق الوجهة السوسيولسانية من مفهوم الرأسمالية عند ماركس إن لم يكن يتطابق معه كليا، فكما لا قيمة للنقود ولا معنى لها إلا إذا دخلت في العملية الإنتاجية، فتتحول بذلك إلى علاقة اجتماعية تقوم على استغلال قوة العمل لتخلق في النهاية فائضا، كذلك اللغة لا قيمة لها إلا إذا دخلت حقل التداول، فتتحول بذلك إلى علاقة اجتماعية ، فهي كنسق من الإشارات والعلامات لا معنى له إلا إذا اكتسبت قيمة تبادلية وتداولية واستعمالية، من خلال تحولها إلى علاقة اجتماعية استغلالية في حيز التداول اللغوي لتنتج فائضا في المعنى.[6]

وكل ما تم ذكره سابقا يقع في إطار ما يسمى اليوم بـ "sociolinguistics" وقد ترجم إلى "علم الاجتماع اللغوي" و"علم اللغة الاجتماعي" و "السوسيولسانيات" [7] ومهما كانت التسمية فموضوعها دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع.

وهو يعرف بأنه "فرع من فروع اللسانيات ويختص بدراسة اللغة كظاهرة اجتماعية " [8] ، أو هو "علم يبحث في التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني من حيث استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي لهذا السلوك" [9] ، أي "دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع". [10]

وذلك من حيث الاهتمام بالسياقات الاجتماعية التي تكتسب ثم تستخدم فيها اللغة، وتطبيق النظريات التي تمدنا بها اللسانيات العامة للبحث عن بدائل التعبير اللغوي التي تستخدمها المجموعات الاجتماعية، فالأساس هو التركيز على العلاقة القائمة بين الأشكال اللغوية، والمتغيرات الاجتماعية التي تضبط استعمالات اللغة من خلال وصف وضبط هذا النسق الاجتماعي، الذي يحدد استعمالها في سياقات اجتماعية متنوعة.

وليس المقصود بهذا العلم أنه تركيبة أو توليفة من علمي اللغة والاجتماع، أو أنه مزج لهما، أو تجمع لقضاياهما ومسائلهما، وإنما هو الذي يبحث عن الكيفية التي تتفاعل بها اللغة مع المجتمع[11] ، فهو ينظر في التغييرات التي تصيب بنية اللغة، استجابة لوظائفها وتحديدها، لذا يمكن تعريفه بالعلم الذي يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني، أي استعمال اللغة والتنظيم الاجتماعي للسلوك[12]، ويرتكز في موضوعات ترتبط بالتنظيم الاجتماعي لسلوك اللغة وسلوكيات مستعملها.

وقد اجتهد علماء اللغة من أمثال : ومايه، وفندريس (1875- 1960)، وفيرث (1890- 1960)، وهاليداي (1925-2018)... وغيرهم على إنشاء فرع جديد من فروع علم اللغة، أخذت أصوله تتضح وتستقر في السنوات الأخيرة، وتشغل أذهان الباحثين؛ أطلق على هذا الفرع اسم "علم اللغة الاجتماعي".

ويطمح أصحاب هذا العلم إلى اكتشاف الأسس أو المعايير الاجتماعية التي تحكم السلوك اللغوي، مستهدفين إعادة التفكير في المقولات والفروق التي تحكم قواعد العمل اللغوي، ومن ثم توضيح موقع اللغة في الحياة الإنسانية، مع الاعتماد على سوسيولوجيا ظاهرة الكلام التي لا تتعرض للمعطيات اللسانية إلا كوسيلة اجتماعية.[13]

وتنبع أهمية هذا العلم من اعتبارات عملية ذات نفع كبير على اللغة منها السعي إلى أن "يمد التحليل اللغوي بعدا يتجاوز المدى الذي بلغه علم اللسانيات الحديث، وذلك فيما يستدركه علم اللغة الاجتماعي على علم اللسان الحديث من مسائل كثيرة، ومنها على سبيل المثال: إغفاله للسياق الذي تستعمل فيه اللـــغة... كما يحاول أن يبين كيف تتفاعل اللغة مع محيطها، ويتمثل هذا البعد الأوسع في النظر إلى العوامل الخارجية التي تؤثر في استعمالنا للغة..." [14]

وفي الواقع، لم يكن هذا الأمر مشجعا ولا مواتيا لاشتراكهم الفوري في اجتماعيات اللغة، هذا العلم الذي كان يدعي استعمال وقائع اللغة والخطاب كوسائل لبلوغ معرفة أفضل للوقائع المجتمعية، وكان لبلوغ ذلك يقوم بافتراض ومناقشة توصيفات اللسانة واستنتاجاتها.

4. بعض النماذج من كتاب الإشارات الإلهية* لأبي حيان التوحيدي* (-414هـ):

نجد **التوحيدي** في بعض المواقع يصف (الغريب) من منطلق تجربته الشخصية، والغريب في اللغة هو الغامض ، [15] وهو غير المعروف أو المألوف، والرجل ليس من القوم ولا من البلد والجمع غرباء. [16]

فنلفيه يكررها عدة مرات في إحدى رسائله بشكل ملفت مما يدل على تجربته المريرة والطويلة مع الغربة، وفي كل مرة يغير معناها حسب السياق الذي توضع فيه هذه الكلمة.

يقول: "الغريب من جافاه الحبيب" هنا يعرف الغريب بالشخص الذي يعامله حبيبه بالجفاء والبرودة.

-"الغريب من تغافل عنه الرقيب" أي من لم يكن له شأن عند الحاكم أو السلطان.

-"الغريب من حاباه الشريب" وهنا الذي يصاحب من يقدم له الشراب أو رفيق السوء.

-"الغريب من أوذي من قريب". من قابله أعز الأشخاص إلى قلبه بالأذى.

-"الغريب من في غربته غريب" . من اجتمعت عليه غربتين : الأولى غربة البلد والثانية غربة الأشخاص.

-"الغريب من ليس له نسيب". وكان للنسيب شأن عند العرب، حيث أنهم كانوا السند والجاه.

-"الغريب من ليس له من الحق نصيب" وفي هذا السياق اعتبر أن الغريب هو المظلوم.

-"الغريب من غربت شمس جماله" من ذهب شبابه وجماله وصحته.

-"الغريب من اغترب من حبيب وعداله". الجفاء الذي لقيه من أحبابه وأقرانه.

-"الغريب من أغرب في أقواله وأفعاله" وفي هذا المقام يعتبر أن الغريب من كانت أقواله وأفعاله غير مألوفة وجديدة في ذلك المجتمع

-"الغريب من استغرب في طمره وسربال" طمره أي ملابسه القديمة وسربال هو ما يغطي به جسده ن ووجه الغربة هنا هو طريقة اللباس.

-"الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة" أي كثير الشكوى.

-"من إن حضر كان غائبا وإذا غاب كان حاضر"..."الغريب من إن رأيته لا تعرفه"....إلخ وكل هذه السياقات التي جاء بها في وصف الغريب تنطبق عليه، فهي نعوت له لما لقيه في حياته ومجتمعه، فهو من جافاه الحبيب وهو من ليس له نسيب ، وهو من لقي العداء من الصديق، وهو من عاش كل أنواع الغربة التي ذكرها.

ومنه أيضا تكرار لفظ بعينه في استعمالات محدودة وتعابير مخصوصة ما انفك الكاتب يستعيدها في سياقات شتى، فاللفظ المفرد في حد ذاته لا يعنينا إن تكرر، وإنما عودته في هذا الاستعمال أو ذاك وعودة متعلقاته هما سبب اهتمامنا به، وأمثلة ذلك في المدونة مايلي:

-...لا يقرع **بابا** إلا فتحه... -...انفتاح **باب** الشكر ...-...واقرع بابه إن لم تفتح... -...أو يفتح بابا ...-...بابا مفتوحا إلى الرضا ...-وخذ بنا إلى باب الله ...-ولا كل من قرع الباب دخل...-ولا باب إلا ارتج...-هذا باب قرع مذ أغلق وأبهم...-ويسد باب روح الحياة...[17]

فقد كرر كلمة **الباب** ستة وخمسون مرة، وفي مثال آخر كذلك كركلمة **طريق** ثلاثة وثلاثون مرة، وكلاهما لفظة مفردة تكررت في جميع العينات التي أوردتها.

وقد جاءت لفظة **باب** مثلا في استعمالات محدودة تكررت بدورها، وإن كان بينهما تفاوت، فأكثر الاستعمالات تكرارا ما اقترنت فيه بجدر (ق.ر.ع) ومشتقاته، فهذه الاستعمالات المتكررة هي من رصيد الكاتب القر وتعابيره الجاخزة التي لا تقتضي منه نصرفا كبيرا إلا ما يساعده على ربطها بسياق عام، وقـد أجراها الكاتب في الغالب في تراكيب أو جمل مستقلة مما سهل استقدامها ووسمها بمرونة ملحوظة وجعلها في حالات كثيرة تشكل فقرة ثانية.

ومما يؤكد أن تلك التوظيفات باتت لفرط مواظبة الكاتب عليها واستعادته إياها شبيهة بالقوالب الجاهزة والأبنية المتكلسة ورود عدد منها في تراكيب متشابهة.

وإذا كانت الأبنية التي استعمل فيها لفظ "الباب" قد جنحت إلى التكرار وتماثلت، فإن المعاني تنوعت وتفرعت، فكان للباب في كل سياق معنى وفي كل استعمال صورة.

ولا شك ان هذه الاستعمالات المتكررة للفظة باب ستخرجها من مستوى العلامة المجردة إلى عالم الصور والرموز. فالتوحيدي يقصد بالباب مجموعة من الرموز أبرزها علاقة الإنسان بربه، ومدى قرب الخالق من عبده أو بعده عنه، لأن الباب يقترن معه حركة الفتح والغلق والوقوف عليه وقرعه والدخول منه أو الطرد عنه...

وهذا ينطبق على كثير من الأمثلة منها:

*العيون: وهي الجارحة التي تستعمل في الرؤية وظفها في سياق آخر لما قال: "العيون موكلة بخضوعها وتيهكم"[18] فتغير عملها وأصبح موكلة بالخضوع والتذلل والتيهان في ملكوت اللع عز وجل.

*الأنفاس: وهي الوسيلة التي تسمح للجسد بالتزود من الهواء والبقاء حيا. ولما جعلها في مقال آخر بقوله "الأنفاس متصعدة بالأسى والتلهف من أجلنا ومن أجلكم"[19] فأصبح شغلها الشاغل هو التأسي والتلهف على الأحبة.

*الأكف: وهي جمع كف أي اليد، يقوله" الأكف مبسوطة إلينا وإليكم تلتمس فضلنا وتفضلكم"[20] ففي هذا المقام غير وظيفتها إلى تلمس الفضل والعطف...

وفي قول التوحيدي:" إلهنا قدنا بزمام طاعتك إلى كريم حضرتك، واعصمنا من كيد كل كائد لنا من أجلك، وامح أسماءنا من ديوان غيرك، واكتبنا في المنيبين" [21].

فالأفعال الإنجازية (قدنا – اعصمنا – امح – اكتبنا) مباشرة تستلزم رد فعل وهو الاستجابة، فإذا أنجزت فعلا فقد تحققت تلك الأفعال ، أما إذا لم تنجز فإن الوظيفة ستتخذ بعدا براغماتيا لتكون الدعاء.

وفي هذا القول الذي يبدو لنا دعاء ، إلا أن له مقصدية أخرى ، فلو ننتبه لقوله: '.. واعصمنا من كيد كل كائد لنا من أجلك..' فيمكننا استخلاص أن للتوحيدي أعداء كثر يريدون الكيد منه ، ولنحدد صفة هذا الكائد يضيف ': ..وامح أسماءنا من ديوان غيرك..' أي ديوان حاكم آخر، فهو يقصد شخصا في السلطة، أي أن كلامه موجه لهذا السلطان الذي يريد تدميره، وقد ذكرت هذا في مواقع سابقة من هذا البحث، فالعامل الاجتماعي أثر فيه كثيرا وفي كتاباته.

أما في قوله: " ...إنك الجواد إذا لم تسأل، فكيف إذا سئلت، والمنعم إذا لم تطالب، فكيف إذا طولبت " ، هي فعل إنجازي غير مباشر جاء على هيئة الدعاء، كما يمكن أن يكون هذا الكلام موجها لشخص آخر ، بقصد التكسب.

فالنص ليس مجرد تكوينات لغوية تماسكية أو دلالية معرفية، بل يجب أن يحمل كل نص موقف منتجه واتجاهه حيال ما يعرضه في نصه.

وهذا ينطبق على كاتبنا التوحيدي، فهو يعكس من خلال إشاراته الإلهية ما يجيش في صدره من أفكار وانفعالات ورغبات، السبب فيها ما آلت إليه نفسيته التي تأثرت أيما تأثر بالظروف الخارجية المختلفة، فجعلها سلاحا أو إستراتيجية في كتاباته.

1.4 -السياق الثقافي:

رأى مالينوفسكي ضرورة إعطاء اهتمام كذلك إلى تلك الثقافة للنص، لأن أي نوع من التفاعل اللغوي لا يمثله فقط مجموع الرؤى أو الأصوات المحيطة بالحدث،[22] ولكن كذلك كل التاريخ الثقافي

الذي يقف وراء المشاركين في الخطاب وكذلك الخلفية الإيديولوجية والتأسيسية التي تعطي قيمة للنص وتوثق عملية فهمه وتفسيره.

لقد وُجدت فكرة الثقافة كسياق للغة على نحو مكتمل عند سابير وولف، وإن كان سابير لم يستخدم حرفيا مصطلح السياق الثقافي، إلا أنه قدم اللغة على أنها تعبير عن الحياة العقلية لمستخدميها، ومن هنا فقط شرع هو وولف في تطوير وجهة نظرهما الناشطة حول التفاعل المتبادل بين اللغة والثقافة وهو ما يسمى فرضية "سابير وولف".[23]

واللغة بذلك وظيفة وفقا للملاحظة المتعمقة لأفرادها ولإنشائهم المتواصل للخبرة التشاركية في المجتمع الفعلي.

وهذه الرؤية الوظيفية للغة تقدم مفهوما للسياق الثقافي أكثر رحابة واتساعا، فنحن عندما نتحدث عن السياق الثقافي للنص فإننا نعني سمات الثقافة المتصلة بوقت كتابته، والمسيطرة على كاتبي النصوص، من أعراف أدبية ولغوية.

ويساهم وعي القارئ الثقافي بالنص الذي يقرؤه في إنماء قدرته على القراءة، وهذا الوعي في الأساس عملية تشاركية بين أعضاء الجماعة الواحدة، ويمثل لكل فرد فيها مقدرة خاصة تمكنه من مواجهة بعض الصعوبات حال تعامله مع النصوص وتدفعه إلى السعي إلى ما وراء النص لتحديد مرجعيته السياقية.[24]

ويظهر ذلك في أقوال التوحيدي منها:

"... نبأ غريب استنبط من الغيب المكنون، والسر المخزون. فإذا كان هذا خبرا عن بعض ما تراه العين، فأين نجدك فيما يجده القلب، ثم أين أنت عما وراء ذلك مما لا يبدو إلا بإذن الحق الذي أخفى الخوافي في البوادي،وأبدى البوادي في الخوافي، ثم حكم بالبوادي على أنها الخوافي، وعكس الخوافي على أنها البوادي، لتكون ملكوته محفوفة بالعبرة بعد العبرة." [25]

وفي هذا القول نجده يوظف مجموعة من المفردات مثل " الغيب ، السر ، الحق، الخوافي، البوادي، ملكوت، العبرة..." وهي تدل على ثقافة صاحبها المتشبعة بالدين عامة والمنهج الصوفي خاصة.

فالسياق الثقافي للكاتب ظاهر بيّن، فهو يبدو زاهدا متعبدا، له ثقافة دينية رحبة، ميال للنصح والإرشاد، عانى الغربة والابتعاد عن الحبيب، ويظهر ذلك في الألفاظ والعبارات التي يستعملها بكثرة.

إذن حسب "فان ديك" فيمكننا اعتبار النص ظاهرة ثقافية، إذ من خلاله يمكن أن نستخرج بعض الخلاصات التي تهم البنية الاجتماعية للمجموعات الثقافية، كما يمكن أن نستخلص منها المحادثات المستعملة في مقامات خاصة ودور أعضاء المجتمع وحقوقهم وواجباتهم...إلخ.[26]

2.4-السياق المصاحب:

يشتمل هذا المفهوم على أشياء كثيرة لغوية وغير لغوية في البيئة العامة التي يظهر فيها النص، ويؤكد وجود هذا السياق على أنه من الصعب فهم أي رسالة ما لم نكن نعلم ماذا يحدث الآن، وما لم نكن على علم بالأداء الصوتي والمرئي المصاحب لها والذي يبين ما يحدث الآن بالفعل.

وهذا مما يؤكد على أن الفهم الحقيقي للكلمات مستمد من الخبرة الفعلية والمعرفة بمظاهر الواقع الذي تنتمي إليه.[27]

ومع النص المكتوب يصبح أمر رصد هذا السياق على كل من الكاتب والقارئ، ويؤكد بعض الباحثين أن تصور السياق المصاحب وسيلة يلجأ لها القارئ لفهم النص، حيث يلجأ إلى تعويض نموذج العالم الفعلي بعالم ممكن(متخيل) والعلاقة بين هذين العالمين ليست علاقة انفصال تام بل هناك تفاعل دينامي بينهما بواسطة تفهم هذا بذاك.[28]

فالكتابة أيضا هي فعل فردي يقدمه الكاتب أو الأديب في زمن ومكان أولي مخالف لزمن ومكان السرد الثاني، حيث يرتمي إلى مكنة الإبداعية، إلا أن هذه المخيلة ليس لها أن تتخلى عن قيدها الجمعي والعرفي الذي تشكله جملة من المعارف والمراجع السالفة التكون. ومن هنا ن يتمثل النص الأدبي بوصفه بنية محملة بالموز والجينات تبرز في هيئة مفردات أو أسماء جمل، والتي يمكن للانثروبولوجي أن يخضعها لمنهجه التحليلي مستنطقا العلاقات القائمة بين تلك البنيات بوصفها مكونا أساس لوجود ونشوء وتكون الظاهرة الاجتماعية.[29]

و إذا أردنا تخيل أو تصور السياق المصاحب لكتاب الإشارات الإلهية، ومن خلال قراءاتي له، يمكن القول أن أبا حيان التوحيدي كتبه وهو في مرحلة متأخرة من حياته وكأنه يودع الدنيا، وأيضا كتاباته تعبر لنا عن الواقع المرير الذي كان يعيشه من تهميش من قبل حكام ووزراء عصره، وغربة من قبل عائلته، وهذا ما تم إثباته في الفصل الأول من البحث، عندما تكلمت عن سيرته وعصره.

3.4-السياق اللاحق:

يدل السياق اللاحق على ما سيترتب على النص من تغيرات اجتماعية وإيديولوجية، وتعد دراسة هذا السياق أمرا ذا فائدة إذا ما وضعنا في الاعتبار أن الرسالة تنتظر ردا عليها يكمل معها حدودا لنص أكبر، بما يعني أن ذلك السياق جزء من النص، ومن ثم فإن السياق اللاحق لنص من نصوص الرسائل هو في الآن سياق سابق لرسالة أخرى تالية لها.

وفي قول التوحيدي"وصل كتابك –وصلك الله بالخير وجعلك من أهله- تسألني فيه عن حالي...".[30]

كأن بعض رسائل التوحيدي هي سياقات لاحقة لبعض الكتب التي وصلت إليه، والتي أثرت فيه ربما اجتماعيا وايدولوجيا ودفعته للكتابة والإبداع بهذا الشكل في رسائله الإلهية.

5- خاتمة:

وفي ختام هذا البحث العلمي، حول استعمال المنهج السوسيولساني في تحليل النصوص توصلت إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

-إن المنهج السوسيولساني، منهج جديد في الدراسات التحليلة للنصوص، وهو مهم ومفيد في استنباط الكثير من أسرارها، من خلال ربط اللغة بالمجتمع، وهو يستخدم عنصرين مهمين هما:

1- دراسة الحالة : فمن خلال دراسة الكاتب كونا مجموعة من الأفكار التي ساعدتنا في تحليل رسائله.

2-المسح: فمعرفتنا بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ... التي عاش خلالها مكنتنا من تحليل أدق لنصوصه.

- استعمال المنهج السوسيولساني في تحليل النصوص أفضل من استعمال المنهج اللساني لوحده، وذلك لأن المنهج اللساني منفردا، لن يوصلنا إلى الكثير من أسرار العمل الأدبي، فدراسة النصوص بربطها بعوالمها الخارجية تبعث الروح في الدراسة ، وتسبر أغوارها، فيحترم قاعدة لكل مقام مقال، ولا يخرج عن السياق.

وفي الأخير ، لا يمكنني الإدعاء أنني خلصت إلى تحقيق الغاية المنشودة، التي حددتها مسبقا في تصوري لهذا المقال، و أرجوا أن تفتح هذه الدراسة أبوابا أمام الباحثين للخوض في غمارها، واستحداث آليات جديدة لتطويرها.

والحمد لله الأول والآخر رب العالمين.

الهوامش:

1- ينظر أنور عبد الحميد الموسى – علم الاجتماع الأدبي – منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد – دار النهضة العربية – ص46 .

2-voire Christina Bratt paulston2003, Sociolingiustics-The Essential Readings, Black well publishing, Berlin, , p 4.

3 - ابن جني – الخصائص – 1983 – عالم الكتب – بيروت – د.ط – ص122.

4 - ينظر جون ليفي كالفي – 2006 –لم الاجتماع اللغوي–تر: محمد يحياتن–دار القصبة– الجزائر – د.ط ص13.

*نشأة السوسيولسانيات: إلى غاية الخمسينيات من القرن العشرين أخذت الدراسات اللغوية تندمج مع المجتمع بعلاقات تفاعلية متداخلة، لتبدأ ملامح هذا العلم بالظهور تحديدا في عام 1952م حينما نشر "هارفس كوري" مقالا، كتبت صيغته الأولى في عام 1949م، بعنوان (إسقاط السوسيولسانيات: علاقة الكلام بالوضع الاجتماعي)، لكن تأسيسه كمصطلح مستقل تطلب عقدا من الزمن، حين عقدت ندوات السوسيولسانيات في أوائل الستينات من القرن الماضي، وظهرت حينها أنطولوجيا المقالات التي تناولت خصائص اللغة، ونادت بإدخال العوامل الاجتماعية في تحليلها، ونشرت في غضون ذلك مئات البحوث حول التنظيم الاجتماعي للسلوك اللغوي، وأصبحت السوسيولسانيات فرعا مهما، معترفا به في العلوم اللغوية/الاجتماعية. ينظر: فلوريان كولماس- 2009- ينظر دليل السوسيولسانيات- -تر:د:خالد الأشهب ود.ماجدولين النهيبيمركز الدراسات الوحدة العربية/المنظمة العربية للترجمة-ط1- بيوت—ص13.

5 - ينظر ميلكا إفيتش – اتجاهات البحث اللساني – ص132.

6 - ينظر دهّام عبد القادر، 2011-الدلالة الاجتماعية للغة مقاربة سوسيولوجية ، دار نوافذ، دط - ص36

7 - ينظر معجم علم اللغة النظري – محمد علي الخولي – ومعجم مصطلحات علم اللغة الحديث.

8 - محمد حسن عبد العزيز-2009-علم اللغة الاجتماعي-مكتبة الآداب -القاهرة-د.ط—ص10

9 - نفسه ص10.

10 هدسون – 1990-علم اللغة الاجتماعي-تر:محمود عياد-عالم الكتب-القاهرة ط2--ص12.

11- ينظر: فلوريان كولماس- دليل السوسيولسانيات – ص13.

12 - ينظر هادي نهر،2011-اللسانيات الاجتماعية عند العرب-دروب النشر –عمان الأردن-ص21.

13- هادي نهر- اللسانيات الاجتماعية عند العرب – ص46.

14 - ينظر– جولييت غارمادي-1990 - اللسانة الاجتماعية– ت- خليل أحمد خليل – دار الطليعة بيروت – لبنان – ط1-ص22 .

*كتاب الإشارات الإلهية: ما وصلنا من الكتاب كله أربعة وخمسون رسالة وملخصات من عشرة أخرى، وفي فواتح بعضها ما يفيد أن الرسالة موجهة إلى شخص معين، وفي واحدة منها يصرح المؤلف أنه يجيب على كتاب كان قد وصل إليه من أحد الناس، وفي أخرى ما يدل على أنها رد على سؤال كان قد سئل، وتعتمد الرسائل جميعها بناء متشابها في التركيب الأصلي، يقوم على ركنين أساسيين هما: المناجاة (أو الدعاء) ومخاطبة شخص ما. - ينظر أبو حيان التوحيدي – الإشارات الإلهية – ت: وداد القاضي – دار الثقافة بيروت لبنان ط2 - 1982– ص 11 – 12 – 13 – 14.

* أبو حيان التوحيدي: "هو علي بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدي شيرازي الأصل وقيل نيسبوري" ينظر ياقوت الحموي الرومي – معجم الأدباء"ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب" ت.إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي- بيروت لبنان ط1 1993 ج 5 ص 1923

"فلا شك أنه فارسي الأصل ، وإلا ما سكتوا عن التعريف بأصله، ومن الغريب أن أحدا من مؤرخيه لم يتعرض لذكر مكان مولده، ولا للوقت الذي ولد فيه" [3] ولكن الأمر الذي يترجح عند الكثير من المؤرخين أنه ولد في بغداد سنة(312 ه) وبها نشأ. - ينظر-حسن السندوبي – أبو حيان التوحيدي حياته وآثاره ومروياته ورسائله – منشورات دار المعارف- سوسة تونس ط1 1991- ص 07.

فقد عاش التوحيدي في كنف أسرة فقيرة معدومة؛ محروما من العطف والحنان، مما ولد في نفسه شعورا بالألم المرير والسخط الدائم على المجتمع، ولم يعرف عنه أنه تزوج أو أنجب أولادا أو عاش حياة أسرية مستقرة، مما أتاح له التنقل الدائم طلبا للعلم وسعيا وراء الجاه والمال "ولعل سر ما لاقاه أبو حيان في حياته من عناء وإهمال وفشل يعود إلى طباعه وسماته؛ حيث كان مع ذكائه وعلمه وفصاحته واسع الطموح، شديد الاعتداد بالنفس، سوداوي المزاج..." وربما هذا الجانب كان له دور كبير في بناء شخصيته الأدبية. ينظر أبو حيان التوحيدي – الإشارات الإلهية – ت:خميس حسن- ط1 –آفاق للنشر والتوزيع-القاهرة-2018.ص17.

15 - الخليل بن أحمد الفراهيدي-2003- معجم العين مرتبا على حروف المعجم -- ت-عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمي بيروت لبنان-ط1-- مادة (غرب (

16- المعجم الوسيط –1960- مجمع اللغة بالقاهرة – مادة غرب.

17 - أبو حيان التوحيدي – الإشارات الإلهية –ت .وداد القاضي –ص 15-16 19- 22...

18 - أبو حيان التوحيدي – الاشارات الإلهية – ت: عبد الرحمن بدوي – ص25.

19- نفسه ص25.

20 - نفسه ص25.

21 - أبو حيان التوحيدي – الإشارات الإلهية – ص09.

22 -Halliday & Hassan – langue context and text - p6.

23 - ينظر حسام أحمد فرج – نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري – ص30.

24- نفسه ص30.

25 - أبو حيان التوحيدي – الإشارات الإلهية – ت: عبد الرحمن بدوي – ص05.

26 - ينظر: فان ديك -1997– النص بنياته ووظائفه مدخل أولي إلى علم النص، من نظرية الأدب في القرن العشرين،تر:د/محمد العمري- إفريقيا الشرق- الدار البيضاء-د.ط-ص76-77 .

27 - ينظر حسام أحمد فرج – نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري – ص30.

28 - ينظر نفسه - ص– 40 .

29 - إبراهيم خديجة- 2017-تحليل النص السردي في ضوء المقاربة الانثروبولوجية-مجلة لغة–كلام مج 3 عدد 02

30- أبو حيان التوحيدي – الإشارات الإلهية – ت: عبد الرحمن بدوي – ص17 .